

الارتقاء بأوضاع المعتقلات العراقيات والسجون وفق مبادئ حقوق الإنسان

د. بشرى العبيدي

دكتوراه في القانون الجنائي الدولي
استاذة في كلية القانون - جامعة بغداد

ان المجتمعات الإنسانية - بشكل عام - على اختلافها، تسعى لتحقيق الحد الممكن او على الاقل الادنى من الحكمة والعدالة للتعامل مع المعتقلين والمسجونين والأسرى في حالات الحروب.

وقد وضع المجتمع الدولي جملة من المعاهدات والمبادئ الدولية التي تلزم الدول الأعضاء إتباعها مع هذه الشريحة من الأشخاص حفاظاً على حقوقهم وكرامتهم، يدعو المجتمع الدولي أعضائه من الدول الى تطبيق الاتفاقيات والمبادئ الدولية الخاصة بأليات معاملة هذه الشريحة من الأشخاص وضمان حقوقهم، على الرغم من ان القوانين السماوية والوضعية تؤمن لهم الحفاظ على كرامتهم كبشر لهم حقوق إنسانية يتعين توفيرها.

والسؤال الذي يثار دائماً، هل تطبق المبادئ، سواء الواردة في القوانين السماوية ام الوضعية الوطنية منها والدولية، على المحتجزين والمسجونين العراقيين؟ وحيث أن موضوعنا يدور حول شريحة المعتقلات والسجينات العراقيات فإن الكلام هنا له خصوصية أعمق وحذر أكبر ويتطلب دقة ويقظة شديدتين. فالوضع الاجتماعي المحافظ في العراق يشكل واحداً من أهم المعضلات الكبيرة التي تواجه أي باحث في عالم اجتماعي حساس كهذا.

وكي نجد السبيل للارتقاء بأوضاع المعتقلات والسجينات وبأماكن احتجازهن فلا بد لنا أولاً أن نقف على واقع حالهم داخل المؤسسات الاحتجازية كي نشخص الخلل فنعالجه الصواب فنفعله.

دارت أحاديث كثيرة ومنذ بداية اجتياح العراق واحتلاله في ٩/٤/٢٠٠٣ وحتى يومنا هذا عن حالات اغتصاب وتحرشات جنسية بالمعتقلات والسجينات العراقيات وكانت معظم الاتهامات تشير الى قوات الاحتلال والقوات العراقية، هذه الأحاديث منها ما هو وارد عن منظمات دولية أو منظمات محلية

أو عن مصدر اخطر من هذا وذلك ألا وهو وكالات الإعلام المحلية والأجنبية، ولكن لم يرد من جانب رسمي أو حكومي - ونقصد الأمم المتحدة أو الحكومة العراقية - ما يؤكد ذلك أو ينفيه بشكل حازم وغير قابل للشك.

من خلال البحث في غياهب هذا الموضوع ومن خلال الاستعانة بأكثر من مصدر للمعلومات في محاولة حل الطلاسم والتوصل الى الحقيقة، وجدت نفسي في مفترق طرق وذهلت أمام التضارب في المعلومات والتهويل الخطير للوضع.

ورد في تقرير صادر عن منظمة (التقرير العراقي) يشير فيه الى وجود (١٠,٠٠٠) معتقلة عراقية تعرّضن للاعتقال منذ عام ٢٠٠٣ ولغاية تاريخ إعداد هذا التقرير وهو ٢٠٠٨/١/١٥.

في حين تؤكد تقارير صادرة عن بعض من عضوات مجلس النواب العراقي - لجنة حقوق الإنسان - بعد زيارتهن الميدانية لكل من سجن بوكا في البصرة وسجن كروبر في مطار بغداد الدولي، إن سجن بوكا خالي من المعتقلات من النساء العراقيات او من الأطفال، أما سجن كروبر فيضم (١٤) أربعة عشر معتقلة عراقية أطلق سراح أربعة منهن وبقي عشرة معتقلات لدى الغالبية العظمى منهن قرارات إفراج.

كما وفندت وزيرة حقوق الإنسان ما أسمته - المزاعم الكاذبة - مما روجت له إحدى القنوات الفضائية عن خروقات مزعومة - على حد تعبير الوزيرة - في إحدى السجون ببغداد - والتقرير قد أعد في سنة ٢٠٠٦ - وأكدت الوزيرة ان السجن الوارد ذكره في التقرير، في إشارة إلى سجن النساء في الكاظمية، خال من النزليات منذ أكثر من شهر - أي انه قبل هذا الشهر كان فيه نزليات - لأنه سجن قديم وغير مطابق للمواصفات العالمية، مشيرة إلى أن النزليات قد جرى تحويلهن إلى سجن آخر جديد مطابق للمواصفات.

ونفت وزارة العدل في بيان لها صادر في ٢٠٠٨/٨/١٣ التقرير الذي نشرته صحيفة الشرق الأوسط عن التعذيب والاغتصاب

للنساء في السجون العراقية. وأمر وزير العدل بتشكيل لجنة تحقيقية لإجراء التحري والتحقيق بشأن هذا الموضوع. زارت اللجنة سجن النساء في الكاظمية والتقت بإدارة السجن وتحققت من الأنباء، وفتتها جمل وتفصيلاً؟! ولا ندري ما هي نوعية هذا التحقيقات التي تبدأ وتنتهي في يوم أو يومين ويتم التأكد من نتائجها في زيارة واحدة وأسئلة موجهة لإدارة السجن في قضية غاية في الخطورة تضم عدداً غير قليل من الانتهاكات كهذه!!

في حين أكدت إحدى عضوات مجلس النواب العراقي في تقرير صادر عنها بعد زيارة ميدانية قامت بها لسجن النساء في الكاظمية، قبل ان يتم إخلاؤه ونقل النزليات اللاتي كن فيه الى مكان آخر، ان عدد النزليات (١٧١) نزيلة، لا يقدم لهن ما يكفي حاجتهن من الطعام كما ونوعا بسبب الفساد في إدارة السجن، كما أن الرعاية الصحية غير جيدة وغير كفوءة. ونتيجة لقاء عضوة مجلس النواب بالنزليات اخبرها البعض منهن بوجود حالات اغتصاب واستغلال جنسي لعدد من النزليات من قبل الحرس أو إدارة السجن وتهديد بالقتل لمن تتحدث عن ذلك، كما أن هناك إجبار لمن تتقدم بالشكوى عن حالات اغتصاب مورست ضدها بأن تتنازل عن شكاوها وإلا تتعرض للقتل. كما ان هناك حالات اغتصاب أثناء الاعتقال والتحقيق. فضلا عن حالات ممارسة البغاء داخل السجن من قبل بعض الحراس مع النزليات اللاتي دخلن السجن لامتهانهن مهنة البغاء.

كما ذكر مصدر مسؤول في مجلس القضاء الأعلى انه تمت إحالة احد ضباط سجن الكاظمية للنساء إلى السلطات القضائية نتيجة قيامه باغتصاب إحدى الموقوفات والاعتداء عليها بالضرب.

في ظل هذه التناقضات والتهويلات وغيرها، ما موقفنا نحن النساء العراقيات، ومصيرنا وسمعتنا وشرفنا واعتبارنا ورقة يلعب بها هذا أو ذاك من اجل بعض المكاسب السياسية او من اجل تصفية حساب سياسي أو خصومة او لكسب سبق صحفي أو.. الخ.

كان هناك التزامات واضحة بهذه القوانين وإدارة فاعلة لهذه الأماكن.

٩- توجيه وسائل الإعلام إلى عدم استغلال هذه الشريحة، وإن تقرر جزاءات لوسائل الإعلام التي يثبت أنها تنشر أخباراً وإشاعات كاذبة لاسيما في ما يتعلق بهذه الشريحة من الأشخاص.

١٠- التأكيد من أن الانتهاكات التي تمارس في المعتقلات والسجون وأماكن التحقيق لا تسقط بالتقادم إذ أن مرتكبها سيظل القانون مهما طال الزمن.

١١- إجراء التحقيقات الفورية والجديّة في أي ادعاء بارتكاب انتهاكات في مثل هذه الأماكن من دون أي تأخير ومعاقبة مرتكبها بأشدّ العقوبات وتعويض الضحايا.

١٢- الإسراع في إجراء التحقيقات الجزائية اللازمة على وجه الخصوص مع النساء المعتقلات أو المشتبه بهن وإن يفرج عنهن فوراً إذا اثبت التحقيق عدم كفاية الأدلة للإحالة وإذا كان التحقيق سيطلب احتجازاً أو إجراءات مطولة فيراعى أن لا تبقى النساء في أماكن التحقيق أو الاحتجاز مع الرجال - سواء المحققين أم الحراس- وإنما تنقل إلى أماكن مخصصة للنساء ولا يتواجد فيها غير النساء وإلا يطلق سراحها بكفالة إلى حين انتهاء التحقيقات. مع مراعاة أن تتواجد أثناء التحقيق مع المرأة التي يجري التحقيق معها امرأة من الجهاز القضائي أو الرقابي لمراقبة سير التحقيق ومدى تطبيقه للاتفاقيات والمبادئ الدولية.

١٣- إنشاء مركز للمعلومات يكون المصدر الرسمي والموثوق به للتزود بالمعلومة سواء من الجهات أو المؤسسات الرسمية وغير الرسمية أم من الباحثين. ويتم توجيه المؤسسات الحكومية كافة بتزويد هذا المركز بالمعلومات كي يكون رافداً لمن يحتاج لها. وتشجيع البحوث والدراسات المهمة بحقوق الإنسان ودعمها.

قال رئيس الولايات المتحدة جورج دبليو بوش في عام ٢٠٠٤ (إن تقدم الحرية في الشرق الأوسط قد أعطى حقوقاً جديدة وأمالاً جديدة للمرأة.. إن الاستخدام المنظم للاعتداء الجنسي من قبل النظام السابق لصدام حسين للمس بشراف العوائل قد انتهى).

يا ترى هل صحيح انه قد انتهى؟؟؟

الولادة وبعدها. واتخاذ اللازم لجعل الأطفال يولدون في مستشفى مدني. وإذا ولد الطفل في السجن، لا ينبغي أن يذكر ذلك في شهادة ميلاده (المبدأ ٢٣-١ من القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء).

- في السجن المختلطة المستخدمة للذكور والإناث معا يوضع القسم المخصص للنساء من مبنى السجن تحت رئاسة موظفة مسؤولة تكون في عهدها مفاتيح جميع أبواب هذا القسم. ولا يجوز لأي من موظفي السجن الذكور أن يدخل قسم النساء ما لم يكن مصحوباً بموظفة أنثى. وتكون مهمة رعاية السجنات والإشراف عليهن من اختصاص موظفات السجن النساء حصراً. على أن هذا لا يمنع الموظفين الذكور، ولاسيما الأطباء والعلمين، من ممارسة مهامهم المهنية في السجن أو أقسام السجن المخصصة للنساء (المبدأ ٥٣ من القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء).

٦- التركيز على اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة لسنة ١٩٨٤ والتي صادق عليها العراق مؤخراً إذ أنها على درجة عالية من الأهمية والجديّة لأنها تصف الأعمال التي تشكل فعلاً من أفعال التعذيب والتي لا بد لكل من يعمل في الجهاز القضائي وسلطات إنفاذ القانون العاملين في السجن أن يكونوا على دراية عالية بها وبأحكامها وأن يتم تدريبهم على التعامل مع المتهمين والمشتبه بهم والمعتقلين والمسجونين وفق احترامهم الشديد لهذه الاتفاقية.

٧- على إدارة أماكن التوقيف والاحتجاز والسجون تعليق الاتفاقيات والمبادئ الدولية التي تتناول حقوق واليات حماية المعتقلين والمسجونين في أماكن واضحة ومتعددة من بنايات الاعتقال والسجن وأماكن إجراء التحقيقات الجنائية.

٨- تشديد الرقابة الدورية على أماكن الاعتقال والسجن والتحقيقات الجنائية للتأكد من مدى تطبيقها للقوانين الوطنية والدولية فيما يتعلق بحقوق المعتقلين والمسجونين وآليات حمايتهم وكتابة التقارير الدورية بشأن ذلك ورفعها للجهات المختصة من أجل اتخاذ اللازم إن كانت هناك أية خروقات، أو مكافأة الأشخاص إن

هل يدرك القائمون على هذه السياسة خطورة تلاعبهم بهذه الورقة؟ لاسيما وأنه وصل إلى مسامعنا أن عدداً من النساء اللاتي فرج عنهن، قامت عوائلهن بقتلهن اجتناباً للعار على أساس ما بثته وسائل الإعلام من اغتصاب واعتداءات جنسية للنساء العراقيات المعتقلات.

المشكلة تكمن في أن هذا التلاعب اللامسؤول يبعثنا عن العدالة وعن سعينا لتحقيق سيادة القانون، ويشوّه مجتمعنا وسمعة وشرف أبنائنا.

علينا أن نعترف أن هناك خطأً وأن هناك أوضاع سيئة تعاني منها نساؤنا المعتقلات سواء بالمعاملة أو بأماكن الاعتقال، وعلينا أن ننشخص الخطأ وأن نضع آلية لمعالجته بعقلانية وبشكل مدروس.

من أجل الرقي بأوضاع كل من النساء المعتقلات وأماكن اعتقالهن نوصي بما يأتي:

١- منع عمل أي رجل بأي وصف وتحت أي مسمى وظيفي في السجن والمعتقلات الخاصة بالنساء وذلك منعا لأي انتهاك أو ادعاء بالانتهاكات اللا أخلاقية أو الماسة بسمعة وشرف واعتبار المرأة، وإن يستعاض عن الموظفين والحراس والعاملين من الرجال بالنساء الكفوآت.

٢- تفعيل العمل بالاتفاقيات الدولية والمبادئ الخاصة بحماية ومعاملة الأشخاص الذين يتعرضون لأي شكل من أشكال الاحتجاز أو السجن وحمايتهم من إساءة استعمال السلطة وإدماجها في التشريعات الوطنية.

٣- تدريب العاملين في الجهاز القضائي وعلى تنفيذ القانون وكل من له تماس أو تعامل مع هذه الشريحة من الأشخاص على الاتفاقيات والمبادئ وكيفية وضعها موضع التنفيذ وما سيلحق مخالفيها من جزاءات جنائية واجتماعية.

٤- نشر هذه الاتفاقيات والمبادئ بشكل واسع النطاق والتثقيف على أهميتها وضرورتها.

٥- لتركيز بشكل أساسي في عمليات التثقيف والتدريب على النقاط الخاصة بالنساء وحقوقهن الواردة في المبادئ والاتفاقيات الدولية منها على سبيل المثال:

- في سجون النساء، توفير المستلزمات الضرورية لتوفير الرعاية والعلاج قبل



من مستلزمات الحضارة : الحلقة الثانية

الانفتاح الثقافي (الف ليلة وليلة في أوروبا)

بلقيس حميد حسن

والمتنوع، كما ان الغالبية تجهل أن هذا الكتاب، قد صنع الغرب منه، كتباً صغيرة كقصص اطفال يتداولونها في المكتبات والمدارس، وفي كل مكان انتظار يوجد فيه اطفال، وكم رأيتهم يقرأونها وهم مع ذويهم يستقلون عربات القطار، وكم عجبت وانا اجد المكتبة العامة في مدينة لاهاي بهولندا، زاخرة بقصص صغيرة للاطفال احداثها تدور في البصرة وبغداد والكوفة وسواها. وعندما قرأتها عرفت انها من قصص الف ليلة وليلة ذاتها، التي لا تتوفر عندنا لكل قاريء ولا في كل مدرسة ومكتبة، بل نحرم وصولها الى ايدي اطفالنا، خائفين على اخلاقهم من المجون الكامن بين دفتيه، والذي لم نر- نحن العرب- في الكتاب سواء.

السؤال الذي لا بد وان يبرز هنا هو: لماذا لا يستقي اطفالنا من كل آبار المعرفة والجمال مثلما يستقي منها اطفال الغرب، ولماذا لا ننتقي من كتاب الف ليلة وليلة مثلاً، مانراه ممكناً ونافعاً لأطفالنا، لماذا نبعده عن عقول الشباب والأطفال بشكل متعصب لاجدال فيه، معتبرينه مفسدة لهم، دون الاعتراف بما فيه من الحكمة والوفاء والصدق والمحبة، والكثير مما يقوي الطفل ويحذره من الغدر والكذب والتصرفات اللامسؤولة؟ انه ككتاب اقرب في بيئته لتراثنا من سواء، واحداثه تدور غالباً في العراق، حتى ان هناك من الباحثين والنقاد من

عشر الميلاي كما يؤكد المهتمون به، و مترجميه الى العديد من اللغات، لا يزال يأخذ مكانة مرموقة بين كتب التراث في التاريخ القديم والحديث، ويلهم قارئيه ليكون سبباً في اطلاق ابداعات كثيرة في مجال الفن والادب كال مسرح وفن الرواية والخيال، كما كان جذوة انطلقت منها قصائد وقصص واعمال ادبية وفنية خالدة لا تحصى..

”الف ليلة وليلة“ تحفة من كنوز مدهشة مليئة بالخيال والحكمة والتجارب والطرائف والنصائح والمتعة وسواها من كل ماهو ضروري للحياة الانسانية التي أسست الفرق بين بني البشر وسواهم من المخلوقات البهيمية على هذه الارض.

هذا الكتاب الذي يُعد من روائع الأدب والتراث العالمي، ما كنا لنقرأه في مدارسنا، ولا نراه كقصص اطفال عندما كنا صغارا، انما قرأناه عندما كبرنا وأصبح لدينا اهتمام بالأدب والثقافة، اي قرأناه كنخبة وأقلية، حيث لم يقرأه الملايين من العرب المحافظين لأناشيد التعصب القومي والطائفي، او المقولات التي تحط من قيمة المرأة لترسخ في العقول انها ناقصة عقل ودين مثلاً. ان الغالبية العربية سمعت بالف ليلة وليلة كجملة يستشهد بها في معرض الحديث عن البذخ والخلاعة والمجنون فقط، وليس على انه كتاب يزخر بالأدب والتراث الممتع

كل مجتمع متحضر، يحرص على الإهتمام بالتراث الثقافي العالمي، وذلك بهدف الاستفادة منه، مع الاحتفاظ له بالفضل، ومدّه بالخلود والبقاء. ونحن العرب دائماً نتحدث عن التأريخ والتراث أكثر مما نتحدث بهما الشعوب الاخرى، وهذه واحدة من عللنا حيث يستغرقنا الماضي بكل احداثه، وبأخذنا اليه، ناسين واقعنا المعاش، متشبثين حتى بالصراعات بين الملل والطوائف والقبائل، بل اننا نحبيها ونشعلها كلما حاول التقدم والفكر العلمي الحديث طمسها، بذات الوقت الذي ننسى به أن ننتقي من التأريخ والتراث ماهو نافع لنا ولأبنائنا، فهذا كتاب ”الف ليلة وليلة“ الذي يعتبر من كتب التراث الشرقي التي منحت الشعوب الكثير من الحكمة والمعرفة، وسلطت الضوء على اهمية المحبة والتسامح والصدق والتضحية على لسان شهرزاد، المنقذة لبنات جنسها من ذبح يومي تعرضن له على يد سلطان سادي مريض، كما تحكي الرواية التي يستنتج المرء منها، صرخة بوجه الظلم المسلط على النساء، كما هي موقف رافض للغدر والخيانة وفساد الاخلاق في كل جوانب الحياة.

هذا الكتاب المحتفى به عالمياً، والمكتوب ما بين القرن الثالث والرابع

مقترح يهين المرأة!

حسب الله يحيى



وانسانيتها في أحيان كثيرة. وفي حدود الارامل، نرى المآسي المحيطة بهن تتطلب إيجاد منافذ آخر لتعزير آمالهن، بدلاً من وضعهن في خندق يأس ومحبط يراد (اعانته) على البقاء.

المرأة.. كائن واع ومجتهد، وقد يفوق الرجل في جوانب عديدة من حيث الاتقان والدقة والتربية والعطاء الانساني المحمود الذي قد لا يفلح الرجل فيه..

فلماذا لانعمد الى الانطلاق من مفهوم مساواة الرجل والمرأة على وفق الكفاءة والجهد والخبرة.. الى جانب إيجاد سبل مختلفة لعمل المرأة ومشاركتها الرجل في بناء حياتها ومستقبلها بدلاً من تقديم الصدقات والحسنات اليها؟

إن احترام المرأة، احترام لمجتمع يكونه امرأة ورجل، وليس رجلاً لوحده يمين على المرأة بما حباه الله من خير.. فالخير تصنعه إرادة عارفة ومنتجة، لاتتخذ (الرعاية) منة تسيء الى الارامل والمطلقات والبالغات (٣٥) عاماً من دون زواج.. ياخيبتنا مع من لا يحميكم الى العقل.

هذه إهانة جديدة توجه الى المرأة.. فبعد ان قال السياسيون ان المرأة لاتحظى بالاصوات التي تؤهلها لنيل مقاعد متقدمة في الدولة؛ عمدوا الى تقديم منة وفضل عليها بتحديد نسبة وجودها (٢٥٪) ضمن نظام الحصص المضمونة (الكوتا).

بعد هذا الاجراء الذي لا ينظر الى المجتمع كلاً حضارياً، فاعلاً ومتقدماً وجامعاً للرجل والمرأة معاً؛ (تقدمت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بمقترح للأمانة العامة لمجلس الوزراء يقتضي بمنح اعانات مالية للأرامل والمطلقات وغير المتزوجات اللواتي تجاوزن سن الخامسة والثلاثين) - الزميلة (الاهالي) في ٢٤/٩/٢٠٠٨ -

ومثل هذه (الاعانة) تنظر الى هذه الشرائح النسوية على أنها كائنات معطلة وخائبة ويائسة ومحبطة ولا قدرة لها على العطاء، لذلك تحسن الوزارة اليها باعانة مقدارها (١٥٠) ألف دينار، بدلاً من فتح مشاريع عمل انتاجي تحقق المرأة من خلاله.. حضورها واهمية وجودها، وإنها كائن منتج وليس معطل.

كما ان النظر الى المرأة البالغة من العمر (٣٥) سنة على أنها تستحق (الاعانة) لمجرد بلوغها هذا السن، أمر مهين تماماً.. فمثل هذا السن، هو النضج الحقيقي للمرأة التي أكملت دراستها وأكملت تفوقها وبلغت حكمته ودرابته واكتسبت خبرة لم تكتسبها في سن عمري أقل منها.

أما المطلقة، فلا يمكن التعامل معها على وفق هذه الصورة الاجتماعية المتخلفة التي تضع حولها العديد من الاسئلة، من دون الاحاطة بظروف المرأة التي اكتسبت الطلاق كسبا لكرامتها

يعتقدون ان كاتبه لابد وان يكون عربي اللسان كما نشر ذلك الشيخ "احمد بن محمود شيرواني اليماني" عام ١٨٨١م، وهو احد اعضاء هيئة التدريس في قسم اللغة العربية في كلية فورت ولين، حيث يقول:

"لا يخفى على احد ان مؤلف الف ليلة وليلة وشخص عربي اللسان من اهل العراق وكان غرضه من تأليف هذا الكتاب ان يقرأه من يرغب في ان يتحدث بالعربية فتحصل له من قراءته طلاقة في اللسان عند التحدث بها".

ولا يعيننا هنا ان يكون الكتاب فارسي كما اكد اغلب المهتمين به وبما يشبه الاجماع، ام هنديا ام عربيا كما قال بعض النقاد، لكن ما يعيننا هو اننا لماذا لم نستفد منه كما استفاد منه سوانا؟

لماذا يوظف الغرب كل ما انتجه العقل البشري شرقاً وغرباً لصالحه، ونستكف نحن من قراءة عقول ونتاج الشعوب الاخرى، وان كانت شرقية قريبة لنا وتدور احداثها في بيتنا الوطنية. ينهل اهل الغرب من كل ما انتجته البشرية من فكر، ويوظفون ما يرونه نافعا، وندعي نحن- وباصرار- ان ما عندنا اغنى مما أنتجته الغرب في الفكر والثقافة، متكئين على مفاهيم ماعادت تواكب العصر وحاجات التقنية والاتصالات الحديثة وبيئة وطبيعة المجتمع الحالي. نسأل عن اسباب تراجعنا الحضاري دونما البحث في اسباب العلل، ثم نناقض انفسنا ونقول اننا اصحاب تسامح ومباديء انسانية نادينا بها قبل سوانا من اهل الأرض؟ فلماذا اذن لا يدخل الاهتمام بثقافة الشعوب، وماتنتجها من كتب ثقافية وفلسفية اليوم ضمن مفردة التسامح وقبول الآخر، لننتفح على العقل البشري الذي هو ملك كل من في الارض جميعاً، والذي نحتاجه اليوم اكثر من اي زمن مضى؟

وراء كل عظيم .. ولكن

بقلم: مها محمد

من المؤكد أن جدتي حين كانت تضع رأسها على الوسادة، كانت تفكر في ما تطبخ غداً، وتظل تفكر فيه حتى تستغرق في النوم. ولا شك أن جدي قبل أن ينام كان يفكر هو الآخر في ما سيجلب غداً لجدتي كي تطبخه حتى يستغرق في النوم. وفي حدود هذه المعادلة القصيرة الأبعاد يحس جدي بواجبه تجاه البيت، وتحس جدتي بواجب أن تعمد إلى إرضاء هذا الذي تدعو الله أن يديمه (خيمة على رأسها).

هذه صورة لمجتمع نشأت فيه لأول مرة دعوات تنادي بالسفور وأخر تنادي بالحجاب، وألقت فيها الخطب وأبيات الشعر، وكتبت المقالات، وكانت زوبعة هائلة لم يظن أحد حينذاك إلى إنها لم تكن غير زوبعة في فنجان.

ومن المؤكد أن شارلوت برونتي حين كانت تضع رأسها على الوسادة كانت تفكر في فصل جديد من فصول (جين أير) وإن أميلي برونتي كانت تفكر في أحداث جديدة من (مرتفعات وذرنج)، والاثنان كانت تعيشان في الدير الذي يتولاه أبوهما، أي إنهما من حيث ظروفهما المعيشية

شبهتان بجدتي، ولكنهما من حيث نمط تفكيرهما مختلفان تمام الاختلاف، وهما في الأدب الإنكليزي علامتان فارقتان ومثلهما في ذلك مثل تشارلز أو. ه. ج. ولز. وإذن فالمرأة والرجل اللذان هما المؤنث والمذكر لكائن واحد مبدع عظيم الإمكانيات هو الإنسان، لا ينبغي أن تقام الحدود والضواصل بينهما وينظر إلى كل منهما بوصفه كائناً قائماً بذاته، إنهما معاً علامة ارتقاء الإنسانية وتوهج ثقافتها، والمبدع مبدع أياً كان جنسه، والذي يخط أسمه على جدار تاريخ شعبه قد يكون ذكراً أو أنثى.

لقد كان المنادون بالسفور والحجاب يرفعون أصواتهم بالصراخ من أجل أن يقرروا ما ينبغي أن تضع المرأة على رأسها، ولم يشغلوا أنفسهم بالتفكير في ما ينبغي أن تضعه المرأة في رأسها!

وكان العديد منهم يظنون أن على الرجال أن يبادروا إلى (تحرير) النساء! وواقع الحال إن الرجال والنساء كانوا جميعاً في حاجة التحرر من وهم إنهم قادرون على تحرير أحد أو منح أحد أي حقوق!

أن العقول النيرة، مذكرة ومؤنثة شقت طريقها في وسط المسيرة الإنسانية المتألقة وبنت للإنسانية

هذا المجد السامق الذي تفخر به وليس من بين هذه العقول عقل واحد أنتظر أن تأتيه (تعليمات) تدفعه إلى أن يتفوق ويبدع.

لقد أستمروا العديدون قروناً من الزمان يتوهمون إنهم يسدون للمرأة صنيعاً حين يقولون: وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة...

لم يتكرم أي منهم أن يخبرنا عن سبب وقوف هذه المرأة العظيمة وراء هذا العظيم، ولم نعلم ما كان سيحدث لو إن المرأة العظيمة جاء بها الحظ العاثر ووضعها خلف رجل غير عظيم!

لقد أساء هؤلاء إلى المرأة وإلى مكانتها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! لقد كرسوا وضع وجودها في الخلف ظلماً واعتسافاً.

إن وراء مجد كل شعب عظيم جيوشاً من المبدعين والعظماء ذكوراً وإناثاً تخط سطورهم، كل بحسب قدرته وموهبته، ولم يستطع أحد من الناس أن يؤسس لعظمة أحد من الناس أو موهبته، ونحن نرى في وطننا تباشير زحف خلاق لطاقت البشور نساءً ورجالاً تمحو

كل ما هو متخلف من الأفكار والممارسات، وتضع امرأة عظيمة إلى جانب كل رجل عظيم!

في العشر الأوائل

د. فوز النعيمي

من الأحزان ما يأبى المشاركة، خصوصيته تأبى التفتيت، يبقى مستقراً في بؤرة الشعور، وما يُشار إليه بمحض صدفة، تجفل وتنهمر كلك دموماً في لحظة جمر. الهموم كثيرة وهو حال الإنسان إذ يتفاعل معها وينقلها إلى آخرين لتصيبهم عدواها. هكذا حياتنا مزيج من مشاعر نترجمها سلوكاً يُعرف به كل منا بما يمثله. إلا أن عمومية الهموم تدفع للمشاركة، لاستشفاف الرأي وطلب المشورة أو لمجرد الفضفضة، وبعد، ما أشد وما أكثر همومك يا عراق، في عداد اليتامى أنت أم أنت أبوهم وجدهم وأصلهم؟ وابنتك العراقية مثلك يتيمة ذات يتامى، يتم مركب معقد إن لم تقدر الدولة على التعامل معه، وهو في الحقيقة واجبها وهو بدء مسؤوليتها، ثم هو تكليف شرعي لكل عموم الآخرين من القادرين، هذا من وجهة نظر السماء، أما إنسانياً فهو أيضاً واجب يحتم التكاثر من الجميع فهو فرض "كفاية" يقتضيه الشرع والعرف، فيا ترى ما نوع تلك النفوس التي تتجاهله وتمضي في حياتها، في برجها العاجي لا تأبه لسقم الآخرين؟ أقسم أنني لا أجد لها مسمى تستحقه إلا القول بأن فاقد الشيء لا يعطيه وتبقى الخمسة ملايين يتيم وأمهاتهم بأعدادهم المليونية غرباء في العراق غربة أهل الكهف في وسط يتوعددهم بالموت إن صحوا أو إن ظلوا في كهفهم مرغمون. هم تهد منه الجبال. في العرف الدولي، تعد البلدان في مثل هذه الوضع في حالة تربة يتطوع فيها القادرون بتقديم العون لإخوانهم في الدين أو الإنسانية حتى أن الكثيرين يخصصون زكاة أموالهم

ومبالغ القيام بحجة مثل هذا الغرض. والراسخ في القلب أنهم وإن لم يحجوا إذ تطوعوا بمبالغ الحج فهي تكتب لهم حجة عند الله وسبق إن أصدرت فتاوى بهذا في حالات كثيرة يذكرها لنا التاريخ، إذ ياطأ ما كانت وماتزال هذه الرقعة من الكرة الأرضية مسرحاً لتصفية حسابات كيانات تتخذ من العراق بشكل خاص مرتعاً لها وينتهزها الرعاع في غياب القانون والنظام للعبث بفرض همجيتهم متخذين من الدخلاء أرباباً، في مثل هذه الكارثة، ما قولك اليوم فيمن يحج للمرة الخامسة؟ ألا يكفي لتكفير الذنوب مرة واحدة، ما بال أولئك الذين يحجون كل عام ألا أن تكون ذنوبهم معقدة مركبة تماثل بؤس اليتامى والأرامل، بل قد تفوقها حيث يقول الإمام علي "ذنوب الأغنياء بؤس الفقراء" ولن تكفي حتى ولا سبعين حجة لمحوها. والغريب أنه لحد الآن ورغم كثرة المراجع الدينية المعروفة بدقتها وحرصها ومتابعتها لمثل هذا الأمر فلم تصدر أية فتوى تحت الناس على التكاثر وتدفع المهالكين على الحج منذ ٢٠٠٣ إلى التبرع بمبالغه لفقرائنا، ولنفترض جدلاً أنهم صمموا عليه، ورعا وتعلقاً خارقاً بخالقهم! ألا تحتاج أموالهم لتزكية قبل شد الرحال؟ والحق أن من يكرر هذه الفريضة بهذا الشكل لا بد أن يكون ميسوراً ولديه ما يكفي للتبرع لمحتاجين تقربة وولفي إلى الله سبحانه.

الأمر أن الحج يأتي بعد عشرة أيام ذكرها المولى جل وعلا بأنها من أزكى أيام يُحبذ فيها عمل الخير حيث يقسم بها "والفجر وليال عشر و.."، وهي حكاية تطول لو عرضناها. في هذه "العشرة"، نزلت إلى الحوار،

درت في جحور نمل مكتسحة تطالعي عيون خاوية إلا من جوع ومرض، نقص في كل الخدمات وتجاهل وإعراض عن حال ممزق الأحشاء في إجهاض متواصل لإنسانيتهم. عدت مطأطة الرأس وفي خاطري أتون لهب يدوي يقول:

في "الليالي العشر" من زمني
الشعر يسكنني.. يحاصرني
كأن له في ذمتي دين يطالبني
أقصر ضمير الشعر عني لا
تلاحقني
فقوافيك انفعال عاجل سرعان ما
يخبو هباء
وخيالات بخور ودعاء
وحكايا ألف ليلة
ليلة ضاعت كحل من غاب منه الندماء
وليال صال فيها الموت من غير عزاء
ودخان غلف السهار في ليل شتاء
وحرورف كلها لو جمعت ما أشبعت
يوماً جياعاً
لا ولا ردت وباء
"إذا زلزلت الأرض زلزالها"
وضجت حوارى العراق بأيتامها
فاسح وحج ولبي حيث نكبتها
إنزل إلى القاع وابحث في أزقتها
عن صبية شبيوا
غيبوا في عفن ظلمتها
وظف وحج ولبي حيث كعبتها
إنزل إلى القاع وابحث
عن كل من نسي المتخمون
وفي سكرة "الهبش" من قد جفا
الحاكمون
واعط من النفس أطيبها
ويحرص في جمعه الباخلون
وانصت إلى قولة الحق
"قل لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون".

أين الحكومة من كل هذا؟

كاظم حبيب

حين تابعت برنامج ٧ أيام من قناة الحرة التي يقدمها الصحفي الأستاذ علي عبد الأمير عجام بتاريخ ٣-١١/٢٠٠٨ وعالج في إحدى الفقرات الوضع الكارثي لعاملات الطابوق في العراق، وحين قرأت تقرير راصد الجيران في موقع الجيران الإلكتروني تحت عنوان "أين المسؤولين والمنظمات النسوية في العراق من معاناة النساء العاملات في معامل الطابوق؟"، عادت بي الذاكرة إلى ما كتبتة في الجزء الأول من كتابي الموسوم "لمحات من عراق القرن العشرين" عن فترة الإمبراطورية العباسية وعن الاستغلال البشع الذي كان يتعرض له العبيد حينذاك، ثم ما نشأ عن ذلك من ثورة الزنج الشهيرة، التي رافقتها وفي ذات الفترة تقريباً ثورة القرامطة، التي كتب عنها بإنصاف كبير الراحل الأستاذ الدكتور فيصل السامر في كتابه الموسوم "ثورة الزنج". وقد ورد في كتابي المقطع التالي: "وكانت حصة العبيد من العمل شاقة جداً وفي أكثر الأعمال صعوبة، كما كانت حصتهم من التغذية محدودة جداً ولا تكفي لاستعادة أو تجديد قوة عملهم، وبالتالي كانت أعمارهم قصيرة ويعانون من أمراض كثيرة، وخاصة أولئك الذين كانوا يعملون في شق الترع والطرق أو في إقامة السدود وحفر قنوات الري وجمع الأملاح". وكتب أحمد علي بشأن تغذيتهم يقول: "فإن طعام الزنج لم يكن ليصبح، فإن أحوالهم المعاشية كانت سيئة للغاية، وكان طعامهم يتألف من الدقيق والسويق والتمر". وهناك، كما يقول ابن البيطار، "سويق الحنطة والشعير وسائر الأسوقة.. الذي يكثر استعماله من الأسوقة هذان السويقان، اعني سويق الحنطة وسويق الشعير، وهما جميعاً ينفخان البطن ويبطئان النزول عن المعدة". علي، أحمد. ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد. الفارابي. بيروت. ١٩٩١. ص ١٠٨. راجع أيضاً الدوري، عبد العزيز

الاستغلال البشع ينهش بصحة وعمر عاملات الطابوق الكادحات والفساد المالي السائد ينهب خزينة الدولة والمجتمع ويملاً جيوب الفاسدين!

د. تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري. مصدر سابق. ص ٩٤. وكان بين هؤلاء العبيد الكثير من النسوة العاملات في الكثير من تلك الأعمال المرهقة، وخاصة جمع الملح. وضع النسوة العاملات العراقيات في معامل الطابوق الذي عرض على شاشنة قناة الحرة لا يختلف من حيث شدة الاستغلال وساعات العمل وبؤس التغذية عن وضع أولئك العبيد، من النساء والرجال، الذين ثاروا ضد أوضاعهم البائسة بقيادة علي بن محمد، رغم أن الضجوة الزمنية بين الحالتين تبلغ مئات من السنين.

جاء في تقرير الراصد ما يلي: "لا تتجاوز اجرة المرأة العاملة في معامل الطابوق ٣ دولارات يومياً وهي تبدأ عملها من الفجر حتى الليل، لا راحة ولا ضمان ولا رعاية ولا مسؤول يسأل عن آلاف النساء التي تقطعت بهن سبل العيش". موقع الجيران بتاريخ ٣٠/١١/٢٠٠٨.

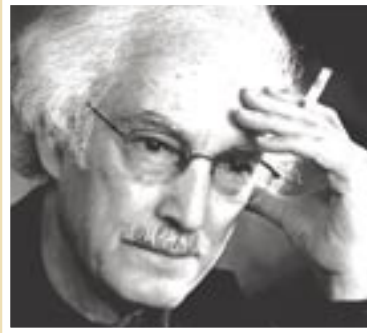
ليس هناك من يعترض على عمل المرأة، بل يطالب به من يناضل من أجل مساواة المرأة بالرجل وأخذ حقوقها كاملة غير منقوصة لكي تكون مستقلة في إرادتها ومواقفها ومصالحها، ولكن السؤال هو: تحت أي ظروف يفترض أن تعمل المرأة؟ وما هي شروط هذا العمل الذي تؤديه؟ وما هو الأجر الذي تتقاضاه لقاء ثماني ساعات عمل مثلاً بدلاً من العمل أكثر من اثنا عشر ساعة لقاء هذا المبلغ الزهيد جداً الذي يفترض أن يسد رمق عائلة

كاملة من خمسة أو ستة أشخاص؟ أدرك تماماً الصعوبات التي تواجه منظمات المجتمع المدني المدافعة عن حقوق المرأة، وأدرك تنوع المشكلات التي تواجهها ابتداءً من العدد الهائل من الأراامل والمطلقات اللواتي يعلن عائلاتهن، وكذلك البطالة المنتشرة بين صفوف النساء بشكل خاص، وثم الحرمان والفقر المدقع والفاقة الحقيقية، مروراً بالاختطاف والاغتصاب والقتل لمختلف الأسباب، واستمراراً بالعنف الذي يمارس ضدها ومن أكثر من جهة، وانتهاءً باستغلالهن أبشع صور الاستغلال واستثمار غياب الرقابة الحكومية أو عدم إحساس الحكومة أصلاً بوجود مثل هذه المشكلة ومثل هذه المعاناة في البلاد، فالحكام الذين كانوا حتى الأمس القريب في المعارضة ويتحدثون عن الفقر والاستغلال والجوع، نسوا أو تناسوا هذا الواقع المزري وتركوا المرأة عرضة لاستغلال اصحاب معامل الطابوق، كنموذج من نماذج الاستغلال المرير.

أغلب هؤلاء الحكام جاءوا إلى السلطة باسم الفقراء والمحرومين ومن أجل الإنصاف والعدالة، وحين جلسوا في المقاعد الوثيرة للسلطة، نسوا بؤس الناس وفقرهم وكدهم والاستغلال الذي يتعرضون له، ولم يبق لدى الكثير منهم سوى ملء الجيوب حتى أصبح العراق يحتل الموقع الثاني بعد الصومال بعدم الشفافية والفساد المالي والإداري بين دول العالم ومن مجموع ١٧٩ دولة مسجلة في لجنة الشفافية العالمية وفق تقرير العام ٢٠٠٧.

النسوة العاملات في معامل الطابوق لسن عبيداً، بل هن يمتلكن حريتهن ويبيعن قوة عملهن لقاء أجر، ولكن هذا الأجر الذي لا يزيد عن ثلاث دورات باليوم لا يساوي جهد ساعة عمل واحدة، في حين هن يعملن يومياً بين ١٢-١٤ ساعة، وهن مجبرات على العمل بهذه الشروط الاستغلالية القاسية، إذ بغير ذلك يمتن وأفراد عائلاتهن جوعاً. حين لا يعملن سوف يفقدن الأجر وبالتالي يفقدن قدرة

بينهم نساء وأطفال



محمد سعيد الصكار

تزدحم وسائل الإعلام بأخبار القصف والقتل والتفجيرات والمفخخات ككشف لحركة الحياة اليومية في بعض بلداننا؛ ولا يخلو أي من هذه الأخبار من عبارة (.. وبينهم نساء وأطفال)، إشارة إلى فداحة ما حصل، وتعبيراً عن الإستنكار والغضب الساطع، وإثارة المشاعر واستدرار العطف والإشفاق على الضحايا من (النساء والأطفال)؛ أما الضحايا من الشباب والشيوخ والجنود والعمال والطلاب والكسبة والمارة والأبرياء الذين يسقطون بالعشرات كل يوم، فلا يكفي موتهم لإثارة الغضب الساطع لدى وسائل الإعلام ما لم يكن هناك (نساء وأطفال)!

إنه استجداء لرحمة لا وجود لها، والتماس لا يجد من يسمعه، وغض النظر عما سوى (النساء والأطفال)، ويا لخيبة الإعلام إذا لم يكن هناك (نساء وأطفال)!

والإعلام، شأنه شأن الكثير من همومنا، يفتقر إلى مرجعية أخلاقية لا تفرق بين فروع التعاسة ومستويات الألم، فالدم هو الدم، والخسارة هي نفسها هنا وهناك، وعلى الإعلام ألا يجزء الحقيقة ويختار منها ما ينسجم مع عواطف الناس، لا مع عقولهم.

قنبلة حصدت كذا من الأرواح، ينقلها الإعلام كخبر غير (عاجل)، ويعبرها براحة نفس إلى الإعلانات التجارية وأخبار الرياضة والمهرجانات المتنوعة، ويذهب الضحايا مع (النساء والأطفال) إلى مصيرهم الذي سرعان ما يُنسى، ثم يُحى بالأخبار (العاجلة) التي تستسى هي أيضاً، ويبقى صوت الإعلام العربي يلعلع في البرية، ويضيف إلى محنتنا محنة، وإلى حيرتنا حيرة أخرى، فترتفع الأصوات منادية بعقد مؤتمر عن دور الإعلام في حياتنا المعاصرة؛ وينعقد المؤتمر ويُعزز بأخر، ويُسند بثالث ورابع، ويبقى الإعلام حاضراً، ودوره في غيابة الجب.

من حق الناس أن يسألوا عن الدور الأخلاقي لوسائل الإعلام، وفاعلية هذا الدور وأثره في واقع الناس ومصائرهم، وحجم الحقيقة التي يفترض أن يعرفها القاريء والمشاهد، ويفيد منها، لا أن يضيع في زحمة العبارات الجاهزة التي تبعث على الملل، وتؤدي إلى تخثر المشاعر، والتآلف مع المصائب.

البقاء على قيد الحياة.

ليس كل العاملات في معامل الطابوق ريفيات، بل بينهن نسوة من المدينة وطالبات أجبرن على ترك مقاعد الدراسة والعمل مقابل هذا الأجر الذي لا يرقى إلى مقدار الطعام الذي كان يعطى للعبيد في زمن العباسيين، إذ أنهن لا يستطعن شراء ما يكفي بهذه الدولارات الثلاثة لأشباع الحد الأدنى من حاجات عائلاتهن الكادحة في بلد يعاني من تضخم زاحف ينهش في مستوى الدخل الفعلي للفرد ويضعف القوة الشرائية للدينار العراقي.

أملني أن تنتبه الأحزاب والقوى والشخصيات السياسية التي تضع نصب عينها الدفاع عن الفقراء والمعوزين والكادحين إلى هذا الواقع والتفكير بسبل معالجته وتعبئة الناس من أجل الدفاع عن مصالحهم في ظل حكومة لا تزال بعيدة من أن تفكر بمصالح الناس وبالفقراء منهم على نحو أخص.

أملني أن تنتبه النقابات العمالية والمنظمات غير الحكومية لهذا الواقع وتعمل من أجل الدفاع عن حقوق العاملات الكادحات اللواتي يعانين من الاستغلال البشع لأصحاب معامل الطابوق وغيرهم.

أملني أن تنتبه المجموعة النسائية في مجلس النواب العراقي إلى معاناة اختهن المرأة العراقية العاملة والكادحة من استغلال وقهر اقتصادي واجتماعي بشكل خاص.

إن وعي المرأة بحقوقها المشروعة، باعتبارها إنسانة كاملة الحقوق والواجبات كالرجل، سينقلها من حالة إلى أخرى، وسيجعلها قادرة على خوض الكفاح ضد مستغليها وسالبي حقوقها في المجتمع الذكوري العراقي الجاحد بشكل عام لدور المرأة ومهامها وقدراتها والناكر لحقوقها المشروعة. وعلينا أن نناضل من أجل رفع مستوى هذا الوعي وربطه بالنضال السلمي والديمقراطي اليومي للمرأة في جميع المجالات والمستويات. إنه الطريق الوحيد لتكريس الحقوق ومنع الحكم الذكوري من مصادرتها.

٢٠٠٨/١١/٣٠

وإذا كانت مهمة الإعلام أن تعرّف المرء على موطنه قدمه من الأحداث، ليتجنب الزلزل، وترفده بالعلم الحق، والمعرفة النقية من الإثارة المجانية ليعرف كيف يتصرّف بشؤون حياته، ويساهم بفاعلية في دورة الحياة؛ فأين نحن من كل ذلك؟ ولمن الإحتكام إذا خرج الإعلام عن مساره الأخلاقي والتربوي المفترض؟

الأخلاق لا تفرض بقوانين، فهي سجيّة يعصمها الضمير، وهو وحده الحكم.

كانوا قد علمونا أن الخبر المثير والمؤثر ليس في أن يعض الكلب رجلاً، وإنما في أن يعض الرجل كلباً. وعلى هذا الأساس انطلقت أخبارنا وتحليلاتنا تبحث عن موطن المفارقة في ما نقول، ولا بأس في أن نبهرج القول، فنحذف ونضيف إرضاء لرب القول الذي يمول إعلامنا الأرضيوافضائي لغاية يعرفها هو ولا نجهلها نحن، ولكن ما قيمة علمنا إذا كان رب القول ذا سلطة لا تطل، وكان رجال الإعلام موظفين لا يختلفون عن موظفي الدوائر الأخرى، ينفذون الأوامر ويتسلمون الرواتب!

لا أحسب أن أحدا يغفل ما تنتجه الصحافة والفضائيات خصوصاً، من إسفاف لا يليق بحرية القول، ولا يحترم حاجة الناس إلى الحقيقة ولا يضع الإعلام بحيث يستحق من مكانة تستأهل أن تكون في صدارة اهتماماتنا، فهي نافذتنا على العالم، بما فيه وما فينا من ضياء وشواذب.

الإعلام اليوم أكبر وأهم مؤسسة ثقافية في حياتنا، من شأنها، ومن واجبها أن تضع لنفسها رؤية وبرنامجا ولغة عربية فصيحة، وشيئا من فنونها يجنبها التكرار الملل والأغلاط التي لا حصر لها.

وسنعرّف غدا، دون فضل من وسائل الإعلام، أن بين القتلى (نساء وأطفال).